

ثقافة الجريدة تزاخم العلم الشرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

أ- رويت مرة عن الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله أنه كان مُنْصَرَفًا يَوْمًا لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ فِي جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى بِمَكَّةَ الْمُبَارَكَةِ، وَأَحَدُ زَمَلَانِهِ مِنْ أَسَاتِذَةِ الْجَامِعَةِ مَنْصَرَفٌ لِقِرَاءَةِ الْجُرَايِدِ الْمَحَلِّيَّةِ، وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَى الشَّيْخُ عَلِيُّ مِنَ بَحْثِهِ الْعِلْمِيِّ سَأَلَ زَمِيلَهُ عَمَّا وَجَدَ فِي جُرَايِدِهِ فَأَجَابَهُ: (تَعْرِفُ الْجُرَايِدَ؛ لَأَشْيَاءُ فِيهَا)، وَعَجِبَ الشَّيْخُ مِنْ سَوْءِ اخْتِيَارِ أَسَاتِذِهِ مُسَلِّمٍ يَتَّخِذُهُ طَلَابِهِ فِي الدِّرَاسَةِ الْعَلِيَا قَدْوَةً، ثُمَّ هُوَ يَضِيْعُ نِعْمَةً لِلَّهِ عَلَيْهِ بِالْوَقْتِ وَالْعِلْمِ وَالْمَوْظِيفَةِ فِي دَوْلَةِ التَّوْحِيدِ وَالْمَسْنُونَةِ فِي قِرَاءَةِ مَا يَعْزِفُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ (مَحْتَوَى وَمَا لُغَةً وَمَا عَاقِبَةً)، وَلَيْتَ وَإِلَاةَ الْأَمْرِ يَقْضُونَ عَلَى الرُّوتَيْنِ غَيْرِ الْمَوْفِقِ بِتَقْدِيمِ الْجُرَايِدِ لِلْمَوْظِفَيْنِ أَثْنَاءَ الْعَمَلِ، فَلَمْ تَعُدِ الْجُرَايِدُ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْإِعَانَةِ، وَحَقَّ لِلَّهِ وَحَقَّ الدَّوْلَةُ أَوْلَى.

ب- وليت سوء الجرايد يتوقف عند الموصف المتفق عليه: (لأشياء فيها) لكفانا عن خيرها كشرها، ولكن شرورها يعجز عنها المحصر، وأراها مطية للشيطان، وأنه لن يعلق بها من الخير إلا بقدر ما علق بمرتحلها (الشيطان) في مثل: حل فيه بعزة الله، واحترافه لله بقضائه الحياة والموت والبعث والخلق، وخبره لأبي هريرة رضي الله عنه أن قراءة آية الكرسي عند النوم تبعد الشيطان عنه.

ومن شرورها: التركيز على أخبار المشرك كالشيطان (يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء)؛ وعدم التثبت في نقل الخبر، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتثبت: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)؛ وعدم رد الأمر قبل نشره إلى كتاب الله وسنة رسوله وأولي الأمر من العلماء والأمراء وقد أمر الله عباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) برد الأمر إلى شرع الله وإلى أولي الأمر قبل إشاعته: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو المخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)؛ بل الجريدة قدوة سيئة للمواطن الكسول الذي يطالب برزقه دون سعي منه، فلا يتحرك من الجريدي إلا لسانه وقلمه، (وعقله وربما دينه في أذنيه)، يصدق فيه المثل الشعبي: (افتح فمك يرزقك الله)، ورواية الأصمعي عن كسول يتمنى الزواج دون بذل السبب غير:

لعل الله أن يــــأتني بل يــــلّيــــي***فيطرحها ويلقيني عليها

ويأتي بعد ذلك سحاب مُزْنٍ***يُطَدِّرُنَا وَمَا نَسْعَى إِلَيْهَا

وهذه المصاحفة الجاهلة الكسولة (مثل تابعها الإمامة الجاهل الكسول) تقود الأمة إلى الجهل والكسل وإلى المظاهرات والاضرابات والفتن، وإلّا فالجريمة والمفاحشة والبدعة.

كفى الله الاسلام والمسلمين شرها وشر الناعقين بفكرها.

واليوم زاد سوء الجرايد الجاهلة بشرع الله لاستغلالها مطالبية المؤسسات الدولية بحرية التعبير؛ فتجرت على القول على الله وعلى شرعه بغير علم، وقد قال الله تعالى: (قل إن ما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والباطم والمبغى بغير حق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)، بل صارت شوكة في حلل العالم العامل المقائم بالحق والعدل، والجرايد آخر من يجوز إطلاق الحرية لها شرعاً أو عقلاً.

ج - ومن أهم ما أفسدته الجرايد من مميّزات هذه الأمة لُغتها (التي اختارها الله لوجهه في كتابه وسنة رسوله والفقهاء في دينه) معنىً ولفظاً ورسمياً وأسلوبياً، إضافة إلى سعيها الحثيث (بجهلها ولما أقول بسوء قصدتها) إلى هدم الأسس والقواعد التي قامت عليها دولة التوحيد والسنة في الدين ثم الدنيا باسم (حماية الآثار الدينية وتفعيل دور المرأة).

وهذه الكلمات الأخيرة (وإن كانت أسوأ ما شاقّت الجريدة به لُغة القرآن والسنة والفقهاء في الدين) لهن أخوات لما يُحسبنه إله الله كفى الله الاسلام والمسلمين شرهن وشر أهلهن.

ومن المحاولات النادرة لمقاومة هذا الفساد اللغوي ما كتبه الأستاذ د. محمد المضدي الأستاذ في الجامعة جزاه الله خيراً في كتابه عن أخطاء الجرايد اللغوية، وذكر في مقدمته أنه ظن أنه في حاجة إلى أعداد كثيرة من عدد من الجرايد ليستكمل بحثه، ولكنّه ملأ كتابه بتصحيح أخطاء عدد واحد من جريدة واحدة، فكيف به لو حاول تصحيح أخطائها اللغوية بميزان لغة الوحي والفقهاء وكيف به لو حاول مكافحة تعديدها على شرع الله وعلى العلم والعلماء بشرهه؟ وكيف به لو حاول (ومعه كل اللغويين والعلماء القاعدين عن الإصلاح) حصر أخطاء كل الجرايد في عام كامل أو شهر واحد أو أسبوع واحد أو يوم واحد؟ ولعل هذه الإشارة كافية لإيقاظ من تكفيه الإشارة من اللغويين والعلماء للإهتمام بمستقبل اللغة العربية في جزيرة العرب، ولعل هذه الإشارة كافية لبيان جناية الجرايد على لغة القرآن والسنة والفقهاء، وعلى دين الاسلام الذي قضى الله بأن تكون هذه الدولة هي القائمة به والمسئولة قبل غيرها عن المحافظة عليه منذ منتصف القرن الثاني عشر من الهجرة، وفي غياب وازع القرآن لم يبق إلا وازع السلطان، سلطه الله على مقترفي الباطل ودعاته.

د - وقد حاولت منذ عشرات السنين إقناع بعض ولاة الأمر (وعلى رأسهم الشيخ ابن باز رحمه الله، ووزير المعارف ووزير الشؤون الاسلامية والمختصون في تعليم اللغة العربية وفقهم الله) بفرض تعليم لغة القرآن والسنة في جميع مراحل التعليم فهي الأصح والأوضح والأثبت، وهي التي تعين المسلم على فهم أحكام شرع الله وصحة العمل به وتبليغه (وهو سبب وجوده)، كما قال الله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، بل تعين المسلم إلى صحيح تلاوة كلام ربه.

وخاطبت عدداً من اللغويين لعلهم يحتسبون الأجر في هب كل منهم بحسب وظيفته وتخصّصه ووسعه ليخدم دينه وأمته بالدفاع عن لغته.

وخاطبت عدداً من المؤسسات العامة المختصة لإنشاء مركز لتصحيح اللغة (بالعودة بها إلى الأصل الذي أنزل الله به وحيه على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم) أو على الأقل تخصيص هاتف مجاني يلجأ إليه المسلم لتصحيح لغته، كما يتطوع بذلك غير المسلم لتصحيح لغته.

هـ - وكتبت عدة مقالات (1) لتصحيح بعض المصطلحات والأمثلة مثل:

(1) (وامعتصماه) وهي دعوى جاهلية لو صحّت أكثر رواياتها، وتردّت في خطب الجمعة (العبادة المفروضة) فضلاً عن الأشعار والمقصص، وفحوى الأسطورة العربية أن المعتصم (الذي ابترقى الفقهاء الموحدين وأبرزهم الإمام أحمد بن حنبل - بعد أخيه ثم ابنه - فقتلوا منهم وسجنوا وجلدوا المؤمنين ليفتنوهم في دينهم)؛ استغاثت مس لمة في بلاد الروم به (فأشركت بدعائها الغائب من دون الله)، فحركته المنخوة الجاهلية لحرّب الروم، تجاوز الله عن كل مسلم، واستمرت الفتنة (14) عاماً وشر ولاتها: المعتصم تجاوز الله عنه.

(2) (الفكر الإسلامي) ولم يرد هذا في القرآن ولما في السنّة ولما في الفقه الأوّل ولما الأخير، وإنّ ما انتشر عندما ترأس الجهاد المشرق والجماعات والأحزاب، وزين لهم الشيطان والهوى وضع مناهج محدثة تخالف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الدين أو الدعوة إليه، وحذر منه الشيخ ابن عثيمين والشيخ د. صالح الفوزان والشيخ د. بكر أبو زيد.

(3) (المملوكية الفكرية) وهذا تناقض، والفكر لنا يملك وإنما يملك المحسوس (عدا ما استثنى في شرع الله كالماء والكلأ والنار)، وحفظ مملكة للفكر حكم بغير ما أنزل الله، بل بالقانون الأوروبي.

(4) (لا مشاحة في الاصطلاح) هذا قول لنا يُعرف قائله ولما يصحّ، وإذا كان معنى المشاحة: المجادلة، فقد شرع الله المجادلة بالحسنى في أمر الدين.

(5) (الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز)، وخلفاء النبوة أربعة باتفاق علماء المسلمين أخذاً بالحديث: "الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملوكاً" فأخبرهم علي رضي الله عنهم، ولو جاز إضافة خامس لكان معاوية رضي الله عنه الذي اجتمعت عليه الأمة ولم تجتمع على صحابي بعده، إضافة إلى كتابته الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروايته عنه وتأمير الخلفاء الثلاثة له.

(6) (تواتر المقررات، وإلحاق ما يسمّى قواعد التجويد بها) ووكد لي الأرنؤوط: عبد القادر، وشعيب أو الألباني (أنّه لا يوجد قراءة متواترة)، أمّ قواعد التجويد فهي محدثة وأكثر ما يسمّى أحكام التجويد لا دليل عليه من الكتاب ولما من السنّة كما وكّد ذلك ابن عثيمين رحمه الله في كتابه العلم ص 171 وعزاه إلى شيخه ابن سعدي وكبر فتواه بذلك مراراً في (نور على الدرب) وقال بمثل ذلك ابن باز رحمه، وعندني نسخة فتواه موقعة بختمه، وحذر ابن تيمية رحمه الله من الانشغال بذلك ومثله عن التدبر والعمل، وكل هذا مثبت على موقع باسمي في الأنترنت، وقد حفظ الله كتابه بجمع الناس على قراءة واحدة ورسم واحد (في عهد عثمان رضي الله

عنه) إلا ما يحتمله الرسم العثماني قبل النقط ثم المشكّل (مثل: يقولون أو تقولون ويضعلون أو تفعلون).

(7) (الروحي، بمعنى الديني) وإنّ ما هو مُتَرَجِّمٌ عن المانكليزية وعن استعمال المتديّنين بالنصّ صرائيةً وفصّ لهم الروح عن الجسد في الدين، وهي بدعة في دين الله الذي يحكم الروح والجسد معاً، وذكرها بكر أبو زيد في معجم مناهيه.

(8) تفسير: {وإنّك لعلّى خُلِقَ عَظِيمٌ} بقصر الخلق على المعاملة، وهو يشمل معها الأهمّ منها: الاعتقاد والعبادة، أي: الدين كاملاً كما في قول الله تعالى: {إنّ هذا إلّا خُلِقَ الأوّلين} وقول عائشة رضي الله عنها: {كان خُلِقَ القرآن}.

(9) مدح النبي صلى الله عليه وسلّم بمثل: (صاحب الوجه الأ نور والمجيب الأ زهر) غير ما اختار الله له وغير ما اختار النبي صلى الله عليه وسلّم لنفسه بأمر ربّه، بل هو ما اختاره المتصوفة الجهلة المبتدعة في الموالد: (خده أحمر مُورِد، ريقه سكر مكرّر، بطنه طي الحرير، حين يشتد المزفير، خده المتفاح شامي)، وأعظم ما يمدح به العبودية والرسالة صلوات الله وسلامه عليه.

(10) (بيننا وبينهم الجنائز) يُروى مثل هذا عن الإمام أحمد بمعنى أن الفصل بينه وبين أعدائه المبتدعة كثرة المشي عيين أو قلّتهم، وهذا حريّ ألّا يصح عنه رحمه الله، فالفصل بين المتنازعين كتاب الله وسنة رسوله، وإلّا لكان الخميني وجمال عبد الناصر هما الأحقّ بالفضل.

(11) (طلبنا العلم لغير الله فأبى الله إلّا أن يكون العلم له) وهذا حريّ ألّا يصحّ عمّن روي عنه؛ فالعلم بشرع الله عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله وإلّا كان شركاً يحبط العمل: (لئن أشركت ليحبطن عملك)، ويصحّ هذا القول لو ختم بمثل: (فطلبنا العلم لله).

(12) (جوارح حفظناها في المصغّر فحفظها الله في المكبر)، ومقدّمة هذا القول مخالفة لأمر الله تعالى: (فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)، وقد يعطي الله صحّة الجوارح وسلامتها مع طول العمر لأكثر خلقه: (كلّاً نمّد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً).

هذه بعض أقوال تنسب للعالمين أو الجاهلين مما أضر به مثلاً لثقافة الجريدة (وبقيّة وسائل الإعلام)، أي: (سمعت النّاس يقولون شيئاً فقلته) دون رجوع إلى الدّوحي ولما تمحيص بالعقل، ترديد ببغائي.

وحتّى يأذن الله لولادة الأمر بإعادة الرّقابة على المصحّف فعمل من المناسب أن يُكْتَبَ على صفحاتها تحذير (مماثل لما يكتب على غلب الدخان وهو أخف ضرراً): باحتمال ضررها للدين والدنيا والعقل والحكمة، هدى الله الجميع لأقرب من هذا رشداً.

(1) مقال: مصطلحات للمسلمين وفيها نظر http://www.saadalhusayen.com/index.php?option=com_content&view=article&id=258

مقال: القول على الله بغير علم http://www.saadalhusayen.com/index.php?option=com_content&view=article&id=130

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه، تعاوناً على البر والتقوى وتحذيراً من الإثم والعدوان.

—1432هـ